وليس كذلك الحالُ في قولهِ تعالى : (يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعهُمْ) . (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ) . لأن الأوّلَ من الكلامَيْنِ فيهما كالثاني في أنه خَبَرٌ مِنَ اللهِ تعالى ولَيْسَ بحكايةٍ . وهذا هُوَ العِلّةُ في قولِه تعالى : (وَإِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قالُوا إنّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون . ألا إِنّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ ولكِنْ لا يَشْعُرُونَ) . إنما جاء (إنّهم هُمُ المُفْسِدُون) مُستأنفاً مُفتتحاً بأَلا لأنّه خبرٌ من اللهِ تعالى بأنهم كذلك والذي قبله من قوله (إنما نحن مصلحون) حكاية عنهم فلو عطف لَلَزِم عليه مثلُ الذي قدّمتُ ذكرَه منَ الدخولِ في الحكايةِ ولصارَ خبراً مِنَ اليهودِ ووصفاً مِنْهم لأنفسِهم بأنّهم مُفْسِدون . ولصار كأنه قِيلَ : قالوا إنما نحنُ مُصْلِحون وقالوا إنّهم هم المفسِدون . وذلك ما لا يُشَكّ في فسادِه . وكذلك قولهُ تعالى : (وإِذا قيلَ لهم آمِنوا كما آمَنَ النّاسُ قالوا أنؤمِنُ كما آمَنَ السّفهاءُ أَلا إنّهُمْ هُمُ السّفهاءُ ولكنْ لا يَعْلَمون) . ولَو عُطِفَ (إنهُم هُم السفهاءُ) على ما قَبْلَه لكان يَكونُ قد أُدْخِلَ في الحكايةِ ولصار حديثاً مِنهم عن أنفسهم بأنهم هُمُ السفهاءُ من بَعْدِ أن زَعموا أنهم إنَما تُركوا أن يؤمِنوا لئلا يكونوا مِنَ السفهاءِ . على أنّ في هذا أمراً آخرَ وهو أن قولَه : " أنؤمنُ " استفهامٌ ولا يُعْطَفُ الخبرُ على الاستفهام .

فإِن قلت : هَلْ كان يجوزُ أن يُعْطَف قولُه تعالى : (اللهُ يستهزئُ بِهم) على " قالوا " من قولِه : (قالوا إنّا معكُم) لا على ما بَعْدَه وكذلك كان يَفْعَلُ في (إنّهم هُم المفسدون) و (إنَهم همُ السفهاء) . وكان يكونُ نظيرَ قولِه تعالى : (وقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ولَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لقضي الأمر) وذلك أن قوله (ولو أنزلنا ملكا) معطوف من غير شك على " قالوا " دون ما بَعْده قيل إنّ حكمَ المعطوفِ على " قالوا " فيما نحنُ فيه مخالفٌ لحكمه في الآية التي ذكرت وذلك أنّ " قالوا " ها هُنا جوابُ شرطٍ . فلو عُطِف قولُه : (اللهُ يستهزىءُ بهم) عليه لَلزِمَ إدخالُه في حُكْمِه مِنْ كونِه جواباً وذلكَ لا يَصِحّ . وذاك أنه متى عُطِف على جوابِ الشرطِ شيءٌ بالواو كان ذلك على ضربينِ : .

أحدُهما : أن يكونا شيئين يتصوّرُ وجودُ كلّ واحدٍ منهما دُونَ الآخر ومثالُه قولكَ : إن تأتِني أُكْرِمْكَ أعْطِكَ وأكْسُكَ